

أفكار حول معنى حكومتي الطوارئ والظّل للخلاص الوطني ومفهوم "رجل الدولة"



عقل المويط

حضرت ليلة أول من أمس الإثنين، حوارة تلفزيونية، أدارها الأستاذ أثير كوستانيان مع رئيسي الجامعتين المسيحية والأميركية، البروفسور سليم دكاش والبروفسور فخلو خوري، حول "مواضيع الساعة"، بدءاً بأحوال التعليم والمدارس والجامعات والطلاب، وليس انتهاء بثورة 17 تشرين، والأزمة السياسية والوطنية في لبنان، مروراً بكارثة الإفلاس الاقتصادي - المالي، وبمسألة العمل وأحوال المؤسسات والعالميين في المجالات كافة، وصولاً إلى الاجتياح الوبائي الراهن، ومصير العولمة، والحدود، والمؤتمتات والنظام العالمي، بما يمكن اعتبار ذلك كله استخلاصاً مرجعياً مكثفاً، لما ينبغي أن يكون عليه "رجل الدولة"، وأن تكون عليه "ميني" حكومة الطوارئ - بحكمه الظل، تجتنباً لسوء المصير المتوقع، وبعثاً عن سبل الخلاص الوطني.

كنت أخذت عهداً على نفسي، من زمن طويل، ألا أفتح شاشتي محلية للاستماع إلى نشرات أخبارها، ولا لمناخها بلبراجها الحواريّة- النقاشية، تعاقباً للوقوع في برائن الشبونية الإعلامية والسياسية والحزبية. كنتي، بناءً على نصيحة ثمينية، بل على العهد الذي خرجت، ليلة أول من أمس، على الصعيد الذي كنت قطعته على نفسي، وحضرت لاني مضى منّي في البداية) الحوار المذكور أولاً، الذي تابعته باهتمام بالغ، بسبب - أولاً - إدارته الإعلامية الرصينة، الهادئة، الموثقة، الخفيفة الصوت، المتشفة، بل المجللة فقط بالعطبات والوقائع، وبالإسئلة التي تشغل الرأي العام.

هذا لا يعني أنني اطالب بتعميم هذه

الطريقة المتشفة والزاهدة (التي لا تستجلب جمهوراً عريضاً)، على إدارة النقاشات الحواريّة، إنما بأشعر المتلقي بأهمية التهيّب والترفع والتواضع والعلم، من خلال إضفاء الجدّيّة فحسب، ولا سيّما في الموضوعات المصرية الحساسة. أتى الضيفان المشاركون في الحلقة، وهما، في الغالب الأعم، رجلا أكاديميان، مستقلان، حداثيان، موضوعيان، دوريهما، وأجابا عن الأسئلة، بلباقة، إنمّا بوضوح، وتقريباً بلا مواربة، وإن على شيء من التحفظ، فقدما صورةً بنورانيةً شبه شاملة، ليس للوضع الأكاديمي والتعليمي وخصوصاً عندما تستقبل، على سبيل المثال، شخصيات اختصاصية محترفة في مجالاتها المختلفة، وفي ظروف حساسة،

وتصورات وأفكاراً تطبيقية، يصلح وضعها في تصرف، لا الجهاز الحاكم والحكومة الرسمية فحسب، بل في تصرف كلّ المعنيين بالشأن اللبناني، ولا سيّما منهم الثوّار، ومن يفكر منهم في تأليف حكومة ظل ثورية - شعبية مقترضة. يهمني أن ألفت، بشدّة، إلى طبيعة الأسئلة التي طرحها الزميل الإعلامي، وإلى نوعيتها، وإلى شموليتها. هذا كله، بعيداً عن الغواشّة الشعبويّة التي تخضع بها شاشات التلفزة اللبنانية. وكم تتخّرت، انطلاقاً من حوار أول من أمس، الأسلوب المتبع في محطات تلفزيونيّة عالمية، وخصوصاً عندما تستقبل، على سبيل المثال، شخصيات اختصاصية محترفة في مجالاتها المختلفة، وفي ظروف حساسة،

أو عندما تستقبل مرشّحين متنافسين للرئاسة الجمهوريّة، حيث تحضر في الواجهة الأسئلة الحيادية والموضوعية، خالية من أيّ "ترهيب"، أو "إلهام" إعلامي. في المقابل، يهمني أن ألفت إلى ما يعنيه تعبير "رجل الدولة"، من خلال "الامتحان" الذي اجتازه ضيفاً الحلقة بنجاح، ألقب الظنّ أنّه نجاح واضح وجيد. حيث لم يكن ثمة موضع في الحلقة، ولو ضئيل، لمفهوم الرئيس - الزعيم - الحاكم - القائد - المسؤول - الوزير - النائب، الموشاة صورته العممة بـ"قيم" و"معايير" ذر الرماد الجماهيري والشعبي والاندعراضي العمومي.

لا أزعم أن الرجلين الشيفين هما نموذجان افتراضيان لـ"رجل الدولة". لا

أزعم أيّ شيء من هذا القبيل. ولا أعتقد أنّهما يتنظخان لامل هذا الافتراض. إنّما اشتعيت، للبنان، وللبنانيين، طريقة مسؤولة، كهيمة، سديدة، وأبعية، في استعراض الأزمات والمشكلات، كالطريقة التي شاهدها أول من أمس، أسئلةً وأجوبة، وتفكيراً منهجياً، كالتفكير الذي انطوت عليه الحلقة المذكورة. إنّما يهمني من هذا كله، أن ألفت إلى أنّها، بالخبية، يعيدون في لبنان كلّ البعد عن مفهوم "رجل الدولة"، وعن المعايير التي يستسلمزها قيام حكومات الظل والبطورق التاريخيّة. كما يهمني بشكل خاص، في ضوء هذا كله، أن أحرص المسؤوليين، بل كلّ اللبنانيين، على لزوم أتباع التواضع والتهيب والاحتراف

والاستقلال والاختصاص في مواجهة ما نحن فيه، وخصوصاً التبصر في ما ينتظرنا من مأس وكوارث مقبلة ستظهر تباعاً، وعلى كلّ المستويات، والصدع. والتذكير، أضغ في متناول القراء، جملةً من المفاتيح - المواضيع التي تطرقت إليها حلقة الحوار هذا:

1- مواجهة فيروس كورونا: دور المستشفيات الجامعية ومبادراتها، التعاون بين مستشفى الجامعة الأميركية ومستشفى أوتيل ديو، سياسات الصحة العامة في لبنان، التعاون بين المستشفيات الخاصة والعامة في لبنان، التضامن الاجتماعي ودور الجامعة.

2- العام الدراسي: مصير العلم الدراسي (من جزيء الرباه)، المعادلة الاقتصادية وكيف يمكن توفير العلم لكل في هذه الظروف، ما المنتظر للسنة المقبلة؟

3- مستقبل التعليم العالي في لبنان: أي نموذج تعليمي لجامعة العام 2030، أي توجيه للتلاميذ، ما هي مجالات المستقبل، قدرة لبنان التنافسية ومكانته العالمية، ما المنتظر من الدولة؟

4- الثورة: نقطة تحوّل نحو لبنان جديد، دور الجامعات في الثورة، تقييم الثورة، نجاحاتها وإخفاقاتها، ما هو النموذج الجديد في لبنان، دور الشباب في صناعة المستقبل؟

5- تقييم تجربة حكومة حسان دياب، أداء الحكومة السياسي والمالي والصحي في مواجهة كورونا.

6- هل من تحوّل عالمي كبير، انهيار نموذج اقتصادي عالمي، عودة الحدود وانتهاء العولمة؟، التحولات والخصوصية أم الانتعاش في مواجهة الأخطار؟